أزمة النص المسرحي في الجزائر ومظاهرها

The crisis of the theatrical text in Algeria and its manifestations

قمور لخضر

جامعة جيلالي ليباس، سيدي بلعباس، الجزائر، lg8145@gmail.com

تاريخ الاستلام2020/11/27 تاريخ القبول: 2020/12/06 تاريخ النشر: 2021/06/01

الملخص : يرتبط تطور المسرح الجزائري أساساً بتطور أساليب الكتابة المسرحية و في الوقت ذاته البحث عن مصادر جديدة للإبداع إذ يجب على الكاتب المسرحي أن يبحث وأن يجرب ،حتى لا يقع في فخ الاستهلاك وهذا لا يعنى على الإطلاق إهمال كل ما كتب فى المسرح بل عليه أن يضيف أسلوباً جديداً يثري من خلاله التجربة المسرحية ، لأن المسرح مجال خصب بجمالياته ومقدرته علي التأثير في المتقلي ، من خلال الفرجة باعتبارها ظاهرة فنية لها حدودها وبنيتها وخصوصيتها وقواعدها القائمة علي التفاعل مع مختلف العناصر المحلية والعالمية.

الكلمات المفتاحية: النص المسرحي. المسرح الجزائري.أزمة النص.التأليف المسرحي. الممثل.المخرج.

Abstreact The development of Algerian theater is mainly related to the development of theater writing methods and at the same time searching for new sources of creativity, as the playwright must search and experiment, so that he does not fall into the trap of consumption, and this does not mean at all to neglect everything written in the theater, but rather he has to add style Through it, he enriches the theatrical experience, because theater is a fertile field with its aesthetics and its ability to influence the mutually exclusive, by viewing it as an artistic phenomenon that has its limits, structure, privacy and rules based on interaction with various local and international elements.

Keywords Theatrical text. Algerian theater, text crisis, theater writing. Actor Director

يعاني الوضع المسرحي في بلادنا انعدام التبادلية بين الكتاب ورجال المسرح، كما أن هناك تناقضا عمق انعدام هذا التبادل بين الكتاب ومخرجي المسرح وهو يتمثل في تقنيات المسرح الأدبي من جهة، وتقنيات النص المسرحي من جهة أخرى ويرى جمهور الكتاب المسرحيين بأن على الكتاب أن يتعاطوا الكتابة المسرحية، وأن يمنحوا كل الحرية للمخرج في قولبة النص الأدبي في صيغ فنية مسرحية(1) وهناك أزمة نصوص مسرحية، نحسها لكننا لا نتعامل معها بنظرة علمية وواقعية، فالأدب المسرحي ظل بعيداً عن الخشبة وهذا هو الخطأ.

أما بالنسبة للغة المسرحية، فالمطلوب أن تكون لغة ذات جماليات، لا كلام الشارع الذي لا يجلب إلا الإضحاك ولا هي لغة قواميس، بل هي لغة مهذبة بعيدة عن اللفظ والثرثرة والقذف لأن الخشبة لها قدسيتها وتقابل جمهوراً له كرامته وله حساسيته.

ويبدو أن قضية أزمة النص هي قضية مفتعلة على العموم، لأنها ليست أزمة نص بقدر ما هي أزمة سياسة ثقافية انعكست بنفسها على أزمة النص وأزمة المسرح .

هذا وإن غياب النص المسرحي ليس مشكلة الهواة فحسب، بل هو مشكلة المسرح الجزائري ككل(2).

أسباب أزمة النص المسرحي في الجزائر:

يعتبر التأليف المسرحي من بين المشكلات العويصة والحادة التي تعرقل مسيرة المسرح الجزائري وتطوره، وتبقى القضية معلقة ما دمنا نفتقر إلى كتاب مسرحيين قادرين بنظرة ثاقبة على تصوير الواقع الجزائري أو الإنساني. والاستجابة للانشغالات اليومية للمواطن في حالات عدة، وعندما لا يجد رجل المسرح من يعطيه النص المسرحي، ويحاول المخرج بث الروح فيه ويجسدها الممثل على الخشبة يتجه نحو التأليف الجماعي الذي هو ضرورة حتمية أملاها الواقع المسرحي، والضرورة الحياتية والتأليف الجماعي ما هو إلا مرحلة انتقالية مؤقتة لا غير.

إن استيعاب الفرق المسرحية أصول التأليف المسرحي يعمل على تحقيق الذوق الفني عند الجمهور، نظراً إلى ما يلعبه المسرح من أدوار في توعية الشعب ورفع ذوقه الفني. وفي الجانب الفني ما زالت الفرق تفصل بين الشكل والمضمون. بالرغم من أنهما يمثلان قوة واحدة وفصل الشكل عن المضمون يحد من وجود المسرح في المحيط ويفقد قيمته الأصلية، ويتحول إلى ادعاء فارغ.

ومما زاد في حدة مشكلة النص هي الهوة الفاصلة بين المشرق العربي والغرب التي منعت الاستفادة من تجربة المسرحي في المشرق والمغرب. والاستفادة من حركة التأليف خاصة وأن الكتابة المسرحية في الوطن العربي عرفت تطوراً ملحوظاً منذ الستينيات. ولا يمكن لرجال المسرح الوقوف أمام هذا الواقع صامتين، يلوكون مرارة الأزمة لأن أزمة النصوص مزعومة في اعتقادنا بشكل مفتعل، و النص المسرحي موجود، أو يمكن أن يوجد بالحث والعمل المتواصل، كما أن البحث الحقيقي عن الحلول يحسم مشكل النص. والدليل على ما نذهب إليه هو أن المسرحيين الجزائريين لفترة ما تفتحوا على النصوص المسرحية المشرقية وجربوها واستطاعوا أن يوفقوا، جربوا نصوص الماغوط، ونصوص ألفريد فرج، وعلى سالم، وممدوح عدوان، ونالت نجاحاً كبيراً وكون المسرح الجزائري عموماً يفتقد إلى النص الناجح فنياً وموضوعياً مرد ذلك إلى اعتبارين: الأول إن الذين يتعاملون مع النص المسرحي في الجزائر تأليفاً وإخراجاً وتمثيلاً في الغالب يفتقدون إلى رؤية مسرحية واضحة، وتعوزهم التقنية في أغلب الأحيان والاعتبار الثاني أن المسؤولين على الفرق المسرحية يأبون لسبب أو لآخر التعامل مع الكتاب الجزائريين. والواقع أن نجاح المسرح في أي مكان مرتبط أشد الارتباط بنجاح النص المسرحي، وقد نجح في سوريا وفي مصر على سبيل المثال لوجود المسرح الجيد، ونجح لنفس السبب في أوروبا وفي العالم.

إن درب الكتابة المسرحية ليس ميسوراً بحيث يمكن طرقه بلا خوف فهو مملوء بالمخاطر، فالمسرحيون الجزائريون جربوا ومشوا في الدرب والخطوة التي ساروها لا تعني الوصول، وإذا انطلقنا من حقيقة أن المسرح أبو الفنون فلأنه يحتاج إلى موهبة تدعمها عبقرية المكتشف مخرجاً كان أم كاتباً مسرحياً فالموهبة موجودة عند المسرحيين الجزائريين، ولكنها مقبورة، والأسطوانة التي نرددها يومياً صارخين، لا نص، لا كاتب مسرحي. الموهوب عندما يجد نفسه وحده ولا معين، وإضافة إلى تجاهل المخرج للنصوص المكتوبة والالتفات نحو الاقتباس عن النصوص العالمية والتأليف الجماعي. المسرح الجزائري يمكن أن يكوّن رجالاً، بمقدورهم الوصول للعالمية. وعندها يصبح السؤال كالتالي: هل شعبنا يخلو من المواهب؟

المسرح يعد مدرسة ومعهداً يتجاوز (معهد برج الكيفان)، يتخرج فيه الكاتب والممثل، والموسيقي، ومصمم الديكور، حتى المواطن يشعر بأنه يتعلم لأن المسرح مدرسة لإعادة التعليم(4).

حتماً عندنا كتاب ومواهب في شتى المجالات لكنها تعيش في عالم النسيان، ومحاصرة بالصمت الرهيب، فعلى سبيل المثال الكاتب المسرحي "أحمد بودشيشة" الذي يعد من ألمع الوجوه في الكتابة المسرحية، وللأسف الشديد لم تعرض له ولو مسرحية واحدة. ولم يستفد من إنتاجه –في عز أزمة النص– لا

المسرح الهاوي ولا المحترف. وغيره كثيرون، من يذكر: زهير العلاف، وعلاوة وهبي جروة، وأحمد منور. ناهيك عن أعمال الروائيين الكبار التي يمكن أن تمسرح وتعرض على الخشبة، كأعمال الطاهر وطار، ورشيد بوجدرة، وعبد الحميد بن هدوقة، وعبد المالك مرتاض وغيرهم.

أزمة النص المسرحي الجزائري سببها الأزمة التي يعيشها المجتمع:

إذا كانت فعلاً هناك أزمة نص مسرحي لدى المسرحيين الجزائريين، فلماذا يعيش النص المسرحي هذه الأزمة؟ وكيف يجب أن ننظر إليها في آخر الأمر؟ وهل الأزمة موجودة في النص المسرحي أم خارج هذا النص؟ أي بمعنى آخر أليست موجودة في فكرنا من حيث قصوره وعدم قدرته على فهم الظاهرة في علاقتها الجدلية بالواقع؟ أليست تعبيراً عن حالة فرضية يعيشها المجتمع على كل مستوياته؟ أي تعبيرا عن أزمة حقيقية يعيشها البناء الاجتماعي غير الثابت هذه جملة من الأسئلة تبقى تطرح في انتظار الإجابة عنها.

كان شباب المسرح يمارسون خطوة الإبداع الجماعي بجرأة وأنتجوا العديد من الفرق وصل عددها 130 فرقة مسرحية، ظهرت ونشطت في السبعينات، وكانت الفرقة الواحدة تنتج مسرحية في كل عام، أي أن هذه الفرق كانت تنتج مئة وثلاثين نصاً مسرحيا في كل سنة. كان هؤلاء الشباب يمارسون العمل المسرحي بقوة أسست حركة مسرحية نحن الآن نجني ثمارها، ونقول إننا نعيش أزمة نص مسرحي، لم يكن هؤلاء الشباب يعرفون هذه الأزمة، كانوا يفتحون أيديهم مشرعة للمستقبل، وما وحدهم يحلمون بهذا الزمن الجديد، فكل نباتات هذا البلد وكل ما هب ودب كان يشعر بهزة التحول العميق من أجل التغيير الثوري والتقدم نحو آفاق موعودة. وهذا الشعور هو الذي يدفع بالجميع، ويقربه من اعتناق الحلم الجميل، ويجعله يحمّل نفسه مسؤولية تحقيقه والدفاع عنه. إن شباب المسرح الجزائري المجتمعون كانوا جزءاً لا يتجزأ من حالة ثقافية ولدتها التغيرات في نفوس أبنائها. فالفرق والجماعات المسرحية المبدعة، كانت تعبر عن حاجة المجتمع وتحولت إلى منابر ثقافية، يمارس من خلالها المواطنون حوارهم. فالتواصل مع الناس عبر نقاشات صريحة واعية تمس القضايا الأكثر التصاقاً بحياتنا اليومية. كان الهدف السامي لتلك الجماعات المبدعة، وهذا ما جعل من هؤلاء الشبان المسرحيين أنبياء التبشير بالعوالم الجديدة يكونون روح الثورة في أسمى تجلياتها الإبداعية فخطأ أن نعتقد بأن الكتابة الجماعية كانت حلاً مؤقتاً لغياب النص المسرحي وفقط.

كل المسارح الجهوية قدمت في بداية تاريخها أعمالاً فنية ذات قيمة جمالية، وذلك لأنها مرتبطة بالهموم الشعبية في أبسط جزئياتها اليومية المستمدة أصلاً من حياة الناس، ومن خبرات ممثلي المسرح المتخرجين من المدرسة الهاوية.

توظيف التراث من أجل الخروج من أزمة النص المسرحي

مما لا شك فيه أن النص المسرح الجزائري يعيش أزمة خانقة، وبالرغم من ذلك يحاول الانتصار على هذه المشكلة بالرجوع من حين لآخر، إلى التراث. لكن المشكلة أن العودة إلى التراث بسهولة، لأنها لا تأتي من خلال اقتباس أو كتابة نص من المادة التراثية لإسقاطه على واقعنا، إنه يأتي بشكل مشوه ومبتور الجناحين فيفقد طعمه. وللخروج من الدائرة المغلقة وأزمة النص استند الكتاب إلى نصوص عربية مترجمة أو مقتبسة، أو معربة بطريقة تطغى على التأليف الخالص، وهذا يظهر بفجاجة ووضوح في كثير من المسرحيات، فإننا قلما نجد إبداعاً خالصاً، فأغلب النصوص مترجمة ومشوهة، ولعبت فيها يد المخرج أثناء الاقتباس.

النصوص المسرحية يغلب عليها طابع الارتجال الشفوي تحت شعارات التأليف الجماعي ومن هنا كسر النص التقليدي، بغية تيسير الوصول إلى الشعب والناس والجماهير، وهذا النوع خطير لأنه يلغي النص كعنصر فني أساسي في العمل

المسرحي ويحوله إلى ذريعة للإخراج والمشاهدة والعرض فقط، وكأن النص هنا يأتي من أجل المتطلبات اليومية الآنية للمنطق الاستهلاكي والتجاري، وهو في كل هذا يتميز بخفته وتبسيطه ومباشرته وتفككه وثرثرته وركاكته وإنشائيته وسطحيته. ونذكر هنا أن بعض الأعمال البارزة والتي تعرض في مهرجان مستغانم كان النص أضعف عناصرها. فالأسلوب السكاتشي لا يهدد النص المسرحي كبناء مستقل فحسب، وإنما يهدد أيضاً إمكانيات الإخراج والتمثيل وسائر العناصر الدرامية(5).

ومما سبق فإن التنويع في المضامين لدى المسرحيين الجزائريين، للأسف الشديد لم يتبعه اختراع في النصوص وتعمق في الأفكار المعالجة. إن أزمة المسرح في الجزائر ليس كما يدّعي البعض ناتجة عن عدم وجود جمهور مغرم بالمسرح، يشجعه على الإنتاج. لكن الأزمة تكمن في النصوص بالدرجة الأولى.

ومما يلاحظ على النصوص من حيث التطور أنها نشطت مع السبعينات وأصيبت بالجمود أو الكساح خلال الثمانينات. في السبعينات شهد مجتمعنا عدة تغيرات طرأت على كافة الميادين: استرجاع الثروات الوطنية، ووضع نصوص والثورات الثلاث. هذه التغيرات التي طرأت على الساحة السياسية والاقتصادية والثقافية أعطت نفساً جديداً للإنتاج المسرحي، وأصبح المؤلف المسرحي يستمد مواضيعه مباشرة من الواقع. ألم نقل إن المسرح مرآة حياة الأمة(6).

أزمة النص المسرحي الجزائري ومظاهرها:

ما زالت حركة المسرح تبحث عن نفسها بين المتغيرات، تحاول إثبات وجودها في السباق الثقافي وتسخر من أجل ذلك كل ما تملك من طاقة وموارد لكنها لم تستطع أن تخترق جدار الإتقان والعمل الجاد بالرغم من عزيمة الساهرين عليها والإنتاج المسرحي لا يمكن فصله عن الإطار الثقافي العام، فهو جزء لا يتجزأ منه ويؤثر فيه ويتأثر به، فالمسرح كغيره من الفنون بقي لفترة طويلة هامشياً يمثل مكانة ثانوية في حياتنا الثقافية، فالانطلاقة العفوية من لا شيء لفرق هاوية كان لها تأثير عميق على بعث حركة مسرحية قوية. لقد كان التعبير المسرحي ظرفياً احتفالياً مؤقتاً سرعان ما تلاشى الحادثة أو المرحلة. كما أن انعدام الإطار الثقافي جعل عجلة المسرح تتحرك بصعوبة، الأمر الذي جعلها تفتقر للفعالية والقدرة التجديدية.

ومادمنا نتعامل مع نصوص وإنتاج مسرحي، فإننا نجد أن المسرحيين عجزوا عن إعطاء الاعتبار الحقيقي للمسرح، وتعاملوا معه كخطاب سياسي وليس كفن له أصوله وشروطه وتقنياته، فكثيراً ما حاول المسرحيون التعبير عن قضايا حساسة إلا أن طريقة الطرح حالت دون تحقيق ذلك، وهذا يعود إلى أخذ الموضوع المقترح في حدوده الضيقة دون ربطه بعوامله الخارجية، وإحداث مقام مشترك

بينه وبين باقي القضايا، فكل مشهد قائم بذاته يفتقر إلى النسج الفني المحكم الذي يمكننا من متابعة التطور الدرامي للمسرحية.

إن عدم التحضير الجاد والجيد ودخول الفرق في سباق ماراطوني استعداداً للمهرجانات الوطنية. يكشف أمراً مهماً مفاده أن هذه التظاهرات تؤخذ كغاية في حد ذاتها تصب في الإنتاجات الرديئة(7).

الخلاصة:

وفي الأخير ومن أجل الخروج من الأزمة التي يتخبط فيها النص المسرحي الجزائري، والنهوض بهذا القطاع الحيوي الذي عرف نوعاً من الضعف خلال السنين الأخيرة، يجب دراسة الأزمة بتعمق جميع المشاكل والمعوقات التي تعترضه لانطلاقة المسرح، وليلعب دوره النضالي والتثقيفي، سواء ما تعلق فيها بالمسرحيين، بالإضافة إلى مشاكل الفرق المتوزعة عبر القطر الوطني، وأزمتها من التنظيم والبحث عن الهياكل المسرحية، ناهيك عن التكوين والتثقيف.

فبالنسبة لمشكلة النص المسرحي، نقترح تخصيص مركز وطني للفنون الدرامية، يشتمل على مكتبة مختصة لدراسة التراث المسرحي بصفة عامة، ونشر النصوص المسرحية القديمة، وإجراء الدراسات النقدية حولها، وترجمة الأعمال المسرحية العالمية، وكذلك تنظيم مسابقات وطنية وعالمية، لكتابة النص المسرحي، ومنح جوائز تقديرية للنصوص الفائزة، بالإضافة إلى العمل على

ترويج الأعمال المسرحية من خلال النشر وترويج الأعمال المسرحية، ومن خلال وسائل الإعلام السمعية البصرية، وعبر الصحافة والمجلات الوطنية، وكذا تنظيم المهرجانات الدولية، وتدعيم مهرجان مستغانم ومسرح الهواة، وإعادة الطابع الدولي له، ومساعدة العمل المسرحي من حيث التحضير والتمويل. ونقترح أن تنتج كل فرقة مسرحية سنوياً باللغة الفصحى، وتوجه بشكل خاص لجمهور الطلبة في الثانويات والجامعات.

وأما فيما يخص أزمة الإخراج والعرض المسرحي، نقترح إدخال مادة المسرح في البرنامج المدرسي، في الابتدائي والثانوي والجامعي، وإنشاء معاهد عليا تعنى بالإخراج والتمثيل والديكور، وغير ذلك من المؤسسات المسرحية. وكذا القيام بتنظيم فترات تدريبية دورية تسمح بتحسين مستوى المخرجين والممثلين داخل الجزائر وخارجها. وندعو إلى المحافظة على التراث المسرحي، وذلك بإعادة العروض المسرحية الناجحة التي كان لها صدى واسع، وتقتضي هذه المحافظة توفير المرافق الضرورية من مخازن خاصة لحفظ الديكور والملابس، بالإضافة إلى صيانة مقرات الجمعيات والفرق الموجودة داخل المراكز الثقافية، أو في أقبية العمارات، أو في مستودعات السيارات أو قاعات الدروس بالمدارس.

وبالنسبة لمجال التكوين نقترح فتح شعب التمثيل في معاهد الآداب على مستوى الجامعات، وكذا فتح شعبة خاصة بتكوين الهواة في "معهد برج الكيفان"، وعقد ندوات وتدريبات متخصصة لشباب الهواة تحت إشراف خبراء متخصصين جزائريين، وخبراء من الدول الشقيقة والصديقة، لتعميق الخبرات المسرحية والفنية لدى المسرحيين الجزائريين عموماً.

وبالإضافة إلى تشجيع تبادل الخبرات والتجارب في المسرح على مستوى العالم، وذلك عن طريق إرسال واستقبال فرق مسرحية مما يسمح للفنان المسرحي باكتساب الخبرة عن طريق الاحتكاك، والتعرف على التجارب المقدمة في هذا الميدان وكذلك إرسال فرق مسرحية للزيارة وحضور الأيام المسرحية والملتقيات والمهرجانات المختصة التي تنعقد في الدول الصديقة والشقيقة: كمهرجان المسرح التجريبي بالقاهرة، ومهرجان المسرح الجامعي بالدار البيضاء وغيرها من المحافل الدولية المسرحية.

الهوامش والمصادر والمراجع

1-عبد الكريم سكار :النص المسرحي ، مجلة الوحدة -عدد236-ديسمبر 1985 -ص43

2- نصير أبو علي :قضايا المسرح والمواجهة ،مجلة الوحدة-عدد402-مارس 1989-ص30

3- مخلوف بوكروح :ملامح عن المسرح الجزائري الحديث -منشورات آمال الجزائر -1982- ص58

4-خميسي زغداني : أضواء على المسرح الجزائري ،مجلة الموقف الأدبي -عدد189 -ديسمبر 1986ص69

5-بول شاوول :المسرح الجزائري المهدد ،كجلة المستقبل -عدد 20 سبتمبر 1988 ص28

6- وريدة قمرود :المسرح بعد الاستقلال ،مجلة المسار المغاربي عدد20سبتمبر 1988ص28

7- عمار بوجلايل :أزمة المسرح ، مجلة الوحدة عدد36مارس1979